يومياً في رمضان
بعد صلاة العصر
النهج الواضح
تفسير سورة
البقرة
كاملة إن شاء الله
لفضيلة الشيخ
أبي محمد خالد بن عبد الرحمن
حفظه الله
في مسجد شيخان الفارسي
الكويت - منطقة العديلية قطعة 1
ابتداءا من 1/ رمضان / 1435هـ
الساعة 4:00 بتوقيت مكة (تقريبا)
ملاحظات :
1- الدرس منقول عبر إذاعة النهج الواضح
Www.annahj.com
2- تقام الصلاة بعد 20 دقيقة من الأذان .
3- للإستفسار : 99480868

الحمد لله رب العالمين، إن الهجرة مع شيخنا الفاضل؛ خالد بن عبد الرحمن– حفظه الله وتعالى–، ووفقه وسدده.

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه {أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ} [البقرة:75-83] .

–جزاك الله خيرًا، نفع الله بك.

الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله وسلم على نبيّنا محمّد وآله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فوقفنا في الدّرسِ السّابق عند قولهِ– تعالى–:{أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} يُخاطبُ الله –سبحانه وتعالى– المسلمين المؤمنين، بأنّهم ينبغي أن ييأسوا مِن إيمانِ اليهود لهم، ومِن تصديقِهم لهم، بل إنّهم لن يقبلوا دين الله–عزّ وجل–، ولن يَأمَنوا أبدًا لأهلِ الإسلام، فيقول الله – سبحانه وتعالى–: {أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ}فإنّه هؤلاء اليهود لن يؤمنوا لكم، ولذلك بيّن الله ذلك فقال: {وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة:120]، قال الله–جلّ وعلا–: {وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}، وقد جاء في كُتبِ التّفسير عند الطبري وغيره، أن الفريق المقصود هنا بقوله: {وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ } قالوا: هم علماء اليهود، الذين كانوا يُحرِّفزن كلام الله –عز وجل–، {وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ} فبيّن الله —عز وجل– أن التوراة كلامه، فكل ما أنزله الله —عز وجل– على الأنبياء والرُّسل من كُتبه هو كلام الله —عز وجل–، وكما سمّى الله —عز وجل– التوراة هنا كلامه كذلك سمّى القرآن، فقال تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} [التوبة: ٦] يعني القرآن، فالقرآن كلام الله، والتوراة كلام الله، والإنجيل كلام الله، وكلام الله —عزّ وجل– هو الذي تكلّم به بصوتٍ وحرفٍ، فمُعتقد أهل السُّنة في صفة كلام الله، بأن كلام الله —عزّ وجل– تكلّم به ربُّنا بصوتٍ مسموع، وحرفٍ مسموع، فإن الله قال لموسى —عليه الصلاة والسلام–: {فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي} [طه: ١٣–١٤] فاستمع: والإستماع لا يكون إلّا لصوتٍ وحرفٍ مسموع، فالمقصود أن أهل السُّنة اعتقادهم في صفة الكلام أن كلام الله —عزّ وجل– بصوتٍ وحرف، وأن كلامه —سبحانه

وتعالى– صفةٌ من صفاته غير مخلوق، وأن كلامه بمشيئته –تبارك وتعالى– وأنه لم يزل مُتكلِّما، هذا تلخيص لِمُعتقد أهل السُّنة في صفة كلام الله –جلّ وعلا–:

–كلام الله بصوتٍ وحرف.

–كلام الله صفةٌ له غَيرُ مخلوق.

–كلام الله بمشيئته، وأنه لم يزل مُتكلِّما –سبحانه وتعالى–.

{ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [البقرة: ٧٥] فهم حرّفوا كلام الله –عزّ وجل–، نقصوا وزادوا، وتحريفُهم في أمرين:

–تحريف اللَّفظ.

–وتحريف المعنى.

كما قال –تعالى–: {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ} [النساء: ٤٦]، وفي الآية الأخرى {مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ} [المائدة: ٤١] فكانوا يُحرِّفون كلام الله على جهتين:

الجهة الأولى: أنهم يُحرِّفون اللَّفظ، فينقصون من كلام الله ويزيدون.

الثاني: أنهم يَعمَدون إلى كلام الله الذي لم يُحرّف في لفظه، ولكن يُحرّفون معناه، يُفسّرونه تفسيرًا باطلًا، فجمعوا بين الشَّرين، بين التَّحريف اللَّفظي، وبين التَّحريف المعنوي، الذي يتعلَّق بتحريف المعنى، قال الله –جلّ وعلا–: {يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} يفعلون ذلك قصدًا وكُفرا، {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا} [البقرة: ٧٦] هذا صِنف من أصناف اليهود، تَظاهَرَ بالنِّفاق {وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ} [البقرة: ٧٦] إذا خلا

اليَهود بعضهم إلى بعض {قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ} [البقرة: ٧٦] يقولون لا تُحدّثوا المسلمين بما بيّن الله لكم من ظُهور نَبيٍّ في آخر الزّمان، مَوصوفٌ بهذه الصِّفات؛ الموجودة في النَّبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، فلا تُحدّثوا المسلمين بذلك فيعلم المسلمون أن التوراة بَشّرت بمحمد –صلى الله عليه وسلم–، بل يقولون أخفوا ذلك حتى لا يحتجّ به المسلمون عليكم عند الله، {أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ}[البقرة:76-77] فالله – جل وعلا– أحاط علمه بِخَلْقِه، لم يَغِب عن عِلْمه شيءٌ من صَنيع خَلقه، حتى بَيّن الله –عز وجل– إحاطة عِلْمه { وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا }[الأنعام:59] أي: أن أوراق الشجر على كثرة الشّجر في الدُّنيا فإذا سقطت ورقة من شجرةٍ في الدُّنيا، فإن الله –عز وجل– عِلمه محيطٌ بِسُقوطها { وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ }[الأنعام:59]، ذَرّات الرّمال التي يُطيّرها الهواء، وينقلها من موضعٍ إلى موضع، ذَرّات الرِّمال وما دونها مُحيطٌ بها علم الله –جل وعلا– {وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}[الأنعام:59] أحاط بها علم الله، وقَدّرها في اللَّوح المحفوظ، فقال الله –جل وعلا–، فقال الله –عز وجل– مُبينًا إحاطة علمه: { أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ }[البقرة:77]، تفضل حفظك الله.

السؤال:

جزاك الله خيرًا، هنا يَرِد سؤال قوله تعالى: { يُؤْمِنُوا لَكُمْ} [البقرة:75] والمعروف عند أكثر الناس أن الإيمان يكون بالله –تعالى– فما وجه هذا اللفظ؟

الجواب:

الإيمان أتى في كتاب الله مُعَدًا بالباء، ومُعَدًا باللام، مُعَدًا بالباء {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ} [النساء:136] فَعُدِيَ الإيمان بالباء، وقد جاء القرآن مُستعملًا للفظ الإيمان مُعَدًا باللّام، كهذه الآية { أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ} [البقرة:75] وكذلك في مواضِعَ أُخر في كتاب الله، حكى الله عن فرعون لَمّا آمن السَحَرة، قال فرعون: { آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ}[طه:71]، إذًا فالإيمان إذا عُدِيَ بالباء {آمِنُوا بِاللَّهِ} [النساء:136] فمعناه الإيمان الشّرعي، وهو الإيمان الذي هو اعتقاد القلب، وتصديق اللِّسان إقرارًا، والعمل بالجوارح، هذا هو الإيمان إذا عُدِيَ بالباء، فإذا عُدِيَ الإيمان باللّام فمعناه التَّصديق، والمتابعة لمن آمن له، يُقال (آمنت له) أي: اتبعته، فهنا يختلف المعنى، لأن معنى {آمَنَ لَهُ} أي: صدَّق قوله، لكن قد يُصدّق ويعلم أنه صادق ولا يؤمن به، فقد يؤمن له، ولا يؤمن به، وقد يؤمن له، وهو مؤمن به، فمن الإيمان له وهو مُتضمّن الإيمان به قوله –تعالى– عن لوط نبي الله لوط، حين قال الله: {فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ} أي: اتبع لوطٌ إبراهيم، وقد يأتي بمعنى عدم التَّصديق، وقد يأتي بمعنى عدم التَّصديق أو بالتَّصديق الذي لا يقترن بالإيمان به، ومنه في معناه لَمّا قال إخوة يوسف لأبيهم يعقوب –عليه الصلاة والسلام–: {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا} [يوسف:17] أي: لست مصدقًا بكلامنا، {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا} لم يقولوا: (وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ بنا)، {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا} لست بِمُصدق لنا فيما أخبرناك أن الذّئب أكل يوسف {وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ}، فالحاصل أنه إذا عُدِيَ الإيمان بالباء فهو الإيمان الشّرعي، وإذا ذُكر الإيمان باللام فمعناه تَصديقُ خَبر الْمُخبِر، بعد ذلك قد أُصدقه ولكن لا أؤمن

به، وقد أصدقه وأؤمن به، فالإيمان بالباء هو الإيمان الشّرعي، والإيمان بالله هو تصديق خبر الْمُخبِر.

السؤال:

قوله تعالى: {أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ} [البقرة:75] خِطاب للمؤمنين، هل يؤخذ من هذه الآيات قطع الطَّمع عمَّن عاند من قَبول الحق، وألا يُدعى إلى الحق؟

الجواب:

لا ليس كذلك، اليهود قد ثبت في صحيح مسلم، من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: ((لَوْ آمَنَ بِي عَشَرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ، لما بَقِيَ عَلَى ظَهْرِهَا أَحَدٌ إلا آمَن))، فاليأس إنما هو من هؤلاء اليهود، وإلّا فقد كان هناك من النّصارى من كانوا يكفرون بالنبي –صلى الله عليه وسلم– ويُعاندون، ولكنهم أسلموا بعد ذلك، وقد كان المشركون في مكة كثيرٌ منهم مُعانِدون للحق ثم هدى الله كثيرًا منهم إلى الإسلام، فهذه الآية ليست في كل مُعاند، قد يكون مُعاندًا ويهديه الله، لكن هذه الآية خِصيصَة لصنف اليهود، وبيان قُبح عِنادهم، وقسوة قلوبهم، ولذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول كما تقدم في صحيح مسلم، من حديث أبي هريرة: ((لَوْ آمَنَ بِي عَشَرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ، لما بَقِيَ عَلَى ظَهْرِهَا من أَحَدٌ إلا آمَن)) حتى ما بلغوا عشرة، آمن عبدالله بن سلام وكان من اليهود من علمائهم، وكان من كبار علمائهم ثم أسلم فصار من خيرة الصّحابة –رضي الله عنه–، لكن لم يَبلُغ إسلام اليهود على كَثرتِهم في ذاك الوقت، لم يَبلُغ أن آمن منهم عشرة.

السؤال:

الجملة الحالية من المبتدأ وخبره في قوله {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} هل هي عائدةٌ إلى {يُحَرِّفُونَهُ} أو {عَقَلُوهُ}؟

الجواب:

قوله –تعالى– {ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [البقرة:75]، هذه الواو يُسميها العلماء واو (الحال)، {وَهُمْ} مبتدأ، و{يَعْلَمُونَ} خبر، و{يَعْلَمُونَ} فعلٌ مضارع، مرفوع وعلامة الرّفع ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال أو الأمثال الخمسة، والضمير المتصل في الفعل المضارع وهو الواو في محل رفع فاعل، والجملة الإسمية من المبتدأ والخبر في محل نصب حال، والسؤال حال من ماذا؟ حالٌ {مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ} أو حالٌ من {يُحَرِّفُونَهُ} هكذا، والحال الأصل فيه أن يكون حالاً لأقرب ضميرٍ له، الأصل في الحال أن يكون حالاً لأقرب ضميرٍ له، فلما تقول: (جاءَ محمدٌ وأبوهُ راكِبًا) راكِبًا: حال، حالٌ من محمد أم حال من أبيه؟ (جاء محمد) هو الرّاكب أم أبوه؟ فتقول الحال لأقرب ضمير، ماهو أقرب ضمير؟ محمدٌ أم أبوه؟ الهاء (أبوه) الواو التي هي (أبوه)، فأبوه هو الحال، فحينئذٍ تقول: أقرب ضميرٍ للحال هو (أبوه)، فتقول: فالأب هو الرّاكب، فالمقصود هنا {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} : حال كونهم عالِمين به، أي: عالِمين بكتاب الله –عز وجل–، فيكون الحال من الضّمير المتصل في قوله: {عَقَلُوهُ}.

قال الله –عز وجل– {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ} ، بعد أن ذكر الله –عز وجل–:

-الصنف الأول من اليهود: الذين يُحسنون القراءة والكتابة، وهم الذين قاموا بالتّحريف، كما قال في الآية التي سبقت، قال الله -سبحانه وتعالى-: {وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ} هؤلاء العلماء كما تقدم، علماء اليهود، يُحسِنون القراءة، والكتابة ثم يُحرّفونه.

-الصنف الثاني من اليهود: {أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ} أُميّون لايعلمون القراءة، ولا الكتابة، وأصل الأُميّ هو الذي لايعلم القراءة والكتابة، ولذلك سمّى الله العرب أُميّين؛ لأن جُلّهم ماكان يُحسِن القراءة والكتابة {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ} [الجمعة:2]، وسمّى الله نبيّه أُميًّا {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ} [الأعراف:157]، وقد جاء في الصحيحين أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَقرأُ وَلَا نَحْسُبُ)) أو كما قال -عليه الصلاة والسلام-، فهذا معنى الأمي قال: {لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ} لا يعلمون الكتابَ، ولم يُباشِروا كِتابةً، ولاعِلم لهم بهذا، لكن هؤلاء اليهود الذين هم من الأُمّيين؛ إنما يعلمون من التوراة الأَمانِيّ التي يتمنَونَها على الله، وذكر الله من هذه الأماني ماجاء في الآية بعدها {وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً} [البقرة:80] هذه من الأماني، فهولاء عَوام اليهود الذين لايعلمون الكتاب إنّما يعلمون ويدّعون أمانِيّ كقولهم: {لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً} [البقرة:80]، فَكذَّبهم الله -عز وجل- في هذه الأمانِيّ فقال -تعالى-: {لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} [النساء:123] فدين الله لايقوم على الأمانِيّ، أنني أتمنى أنني من أهل الجنة، وأُمَنِّي نفسي ذلك، وأقطع على الله بالخبر، وأجعل هذه الأَمَانِي أَدَّعِيهَا كَذِبًا على الله، وأقول أنني من أهل الجنة، وأنني قد أعتقني الله من النار، هذا كله كذب وافتراء،

فالأَمَانِي حين تُدَّعَى على الله بغير بَيِّنة هذا كذبٌ وضلال، قال الله –جل وعلا–: {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ} [البقرة:78]، أَمَانِي قائمةٌ على وَهم، وعلى ظنٍ وخيال، وليس أَمَانِي قائمة على حقٍ وبرهان، فقال الله –جل وعلا–: {وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ} ظنَّ الكَذِب، ثم بيّن الله لهم خِلاف أمانيهّم فتوعّدهم بالنار، فقال: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ} [البقرة:79]، من المعلوم أن الإنسان لا يكتب إلا باليد، فإذا قلت: كَتب فلان، فمعلوم أنه كتب بيده، فما فائدةُ التأكيد بقوله {بِأَيْدِيهِمْ}؟ هذا تأكيدٌ ووصفٌ لما استَحْقَقتَ عليه الذّنب، فكما تقول: أنت فعلت هذا بِيَدَيْكَ، تُؤَكِّدُ جُرمَهُ، وتصف حاله في المعصية، ليكون أبلغ في تصوّرِ ذنبه لدى السّامع، ولديهِ هو المعتدي، يقول الله –عز وجل–: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} [البقرة:79]، ثم بين الله –عز وجل– بُطلان أَمانِيِّهِم، فمن أَمانِيِّهِم {وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً} [البقرة:80]، وقد ثبت في صحيح البخاري أن اليهود لـمَّا سَمُّوا النبي –صلى الله عليه وسلم– وأهدوه ذِراع الشّاة، وكان –صلى الله عليه وسلم– يحب من الشّاة الذِّراع، فصنعت امرأةٌ يهوديّة شاة ثم أتت بالذِّراع التي يحبها النبي –صلى الله عليه وسلم–، فأهدتها إليه، فَقَبِلَ هديّتها، وفي هذا دليل على أنه يجوز أن تَقبَل هديّة الكافر، لكن ليس معنى ذلك أن ينبني على ذلك حبٌ ومودة بينك وبينه لا، فهناك فرق بين المودّة، وبين المعاملة والبِر {لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ} [الممتحنة:8]، فإذا كان هناك كافر، خادم عندك فالبيت كافر، فتُعامله بالبر والإحسان، أمّا الحب والولاء فهذا لا يكون إلا

للمسلم، فالمقصود لمَّا جاء اليهود وقد سمُّوا ذِراعَ شاةٍ وأهدوها للنبي –صلى الله عليه وسلم–فأعلم الله نبيّه بأن هذه الذِّراع مسمومة، فأحضر اليهود فقالَ: ((إني سائلُكم عن ثلاث، فلا تَكذِبوني، قالوا: سل يا محمد ونصدقك، فقال لهم: مَن أبوكم؟ قالوا: فلانٌ، قال: كذَبْتُم، بل أبوكم فلانٌ، قالوا: صَدَقْتَ، ثم قال –صلى الله عليه وسلم-: إني سائلكم عن مسألة، فاصدِقوني ولا تكذبوا، قالو: إن كذَبْنا عَرَفْتَ كَذِبَنا كما عَرَفْتَ كذبنا في أبينا، قال: مَن أهلُ النارِ؟، فقالو: نكونُ فيها يسيرًا)) يقصدون اليهود أنفسهم ((ثم تَخْلُفُوننا فيها)) ندخل النار نحن أولًا، ونبقى مدةً يسيرة ثم أنتم المسلمون تستقرون بعدنا في النار ((فقال –صلى الله عليه وسلم-: كذبتم، والله لا نَخْلُفُكم فيها أبدًا، ثم قال – صلى الله عليه وسلم-: هل جَعَلْتُم في هذه الشاةِ سُمًّا؟ قالوا: نعم، قلنا إن كنتَ نبيًّا فلن يَضُرَّك، وإن لم تكن نبيًّا استرحنا منك)) فالشاهد أن هذا الحديث الذي رواه البخاري يُبيّن أن اليهود يعتقدون أنهم سيدخلون النار زمنًا يسيرًا، وذلك لما سألهم النبي –صلى الله عليه وسلم-: ((من أهل النار؟ قالوا: نمكث فيها يسيرًا ثم تخلفوننا فيها)) ولماذا قال اليهود بأنهم سيمكثون في النار يسيرًا؟ وعبر الله عن ذلك هنا بقوله: {وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً} [البقرة:80]، قالوا هذه الأيام حين اتخذوا العِجل، وحين عصوا ربهم ببعض المعاصي، قالوا سَيُجازيهم الله بهذه المعاصي أيامًا يسيرة في النار ثم يدخلون الجنة، هكذا يعتقد اليهود، ولذلك اليهود يتعاملون مع الناس بأنهم خير البشر، وأن الناس هم خدمٌ لهم {وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ} [المائدة:18]، يقولون الشعب شعب الله المختار، {نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ}، كَذَبَ {قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ} [المائدة:18]، قال الله –جل وعلا-: {وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا

مَّعْدُودَةً} وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–، أن النبي –صلى الله عليه وسلم قال–: ((والذي نفسُ محمدٍ بيده، لا يَسْمَعُ بي أحدٌ مِن هذه الأمةِ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثم يموتُ ولم يُؤْمِنْ بالذي أُرْسِلْتُ به، إلا كان مِن أصحابِ النارِ)) أو كما قال –عليه الصلاة والسلام–، {وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا} [البقرة:80]، هنا أمر التّنبيه في القراءة على قراءة حفص فلابد أن تُظهر الذال، وأكثر الناس خُصوصًا عندنا في مصر لا يُظهرونها {قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا} هذا خطأ، وهذا خطأ شائع عند كثير من المسلمين في قراءة هذه الآية، فلابد أن تُظهر الذال منفصلةً عن التاء، {قُلْ أَتَّخَذْتُمْ} لا تقل (قل أتخذتُّم)، إذا قلت (أتخذتُّم) فقد جعلتها تاءً مُشدّدةً، وهي ليست بتاء مُشدّدة، بل هما حرفان مُختلفان، هناك بعض الكلمات يُخطيء النَّاس في قراءتها {أَتَّخَذْتُمْ}، {إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ} يقرؤون {فَمَنِ اضْطُرَّ} خطأ، {فَمَنِ اضْطُرَّ} خطأ، {أَتَّخَتُّمْ} خطأ، فلابد أن يُنتبه لهذا، وأن يقرأ المسلم القرآن فيما أمكن على مُتقِنٍ له، حتى يُتقِن نُطق كلام الله –جلَّ وعلا–.

المقصود كَذَّب الله دعوى اليهود حين ادَّعوا بأنَّ النَّار لن تمسهم {إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً} قُل أمر الله نبيّه أن يُبطل قولهم {أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ} هل لكم عهدٌ عند الله بأنَّ الله لن يُعذّبكم؟ {أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} بل تقولون على الله، وتكذبون على الله، وتدَّعون على الله ما لا علم لكم، حين قلتم: {لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً}، {بَلَىٰ} ليس كما تدَّعون أنَّ النَّار لن تمسَّكم إلا أياماً معدودة {بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ } [البقرة:81-82] بيَّن اللهُ كَذِب اليهود، أنهم أتوا بالكُفر ثمَّ ادَّعوا بأنَّ النَّار لن تمسهم، ثُمَّ افتروا على المسلمين بأنَّ المسلمين سيُخلَّدون في النَّار، فكذَّب الله دعواهم فبيَّن أنهم من أهل النَّار، وأنَّ المؤمنين هم المخلَّدون في الجنَّة بإيمانهم بربهم.

وقوله –تعالى–: {مَن كَسَبَ سَيِّئَةً} السيئة تُطلقُ على المعصية، وتُطلقُ على الكُفر، وقد ثبت في تفسير ابن أبي حاتم، بإسنادٍ جيّد، عن أبي هريرة –رضي الله عنه–، في تفسير قوله –تعالى–: {مَن كَسَبَ سَيِّئَةً} قال أبو هريرة: الشركُ بالله، فالسيئةُ المُرادَ هنا هي: الشرك بالله، وليست السيئة كالزنا والخمر والمعاصي التي لا يكفرُ بها المسلم، وهذا تفسير الصّحابي –رضي الله عنه– وتفسيرُ السّلف الصّالح.

وثبت عن قَتادة فيما يرويه الصّنعاني، والطَّبري أنَّ قَتادة قال: {مَن كَسَبَ سَيِّئَةً} الشرك بالله، وثبت عن أبي وائل من التَّابعين {بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً} قال أبو وائل: الشرك بالله، وثبت عن سُفيان الثوري {بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً} قال: الشرك بالله، وثبت عن مُجاهد، تلميذ ابن عباس: {بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً} قال: الشرك، ثُمَّ قال الطَّبري: والمرادُ بالسيئة هنا الشرك باتفاق الجميع، أي أنَّ العلماءَ عُلماء السّلف كلهم مُتَّفقون على أنَّ السيئة المراد هنا بالآية هي الشرك بالله، ولذلك المسلمون الذين يدخلون النّار، ويخرُجون بالشّفاعة، كما جاء في الأحاديث المتواتِرة ((إرتكبوا سِيّئات))، ولكنّ مُعتقد أهل السّنة أنّنا لا نكفّرُ أحدًا بالكبائِر، الزنا سيّئة، الخمر سيّئة، الفواحِش من الكذِب، والزنا، والرشوة، والرِّبا كُل ذلك سيّئات، ولكنّ مُعتقد أهل السنّة أن لا يُكفّروا بالكبيرة ما دون الشّرك.

إلاّ الخوارج، الخوارج يستدلّونَ بهذه الآية على أنّ المسلِم إذا ارتكب سيّئة؛ صار كافِرًا مُخلّدًا في النّار، والنبيّ –صلى الله عليه وسلم– يقول: ((شفاعتي لأهل الكبائِرِ مِنْ أمّتي))، فدينُ الخوارج قائم على تكفيرِ المسلمين بالذُّنوب، لذلك يذبحون المسلمين؛ وهم يعتقِدون أنّ هؤلاء كفّار، لذلك انظر إلى حال الخوارج في كثيرٍ مِنَ البلاد، ومنهُم هؤلاء الذين يُسمَّونَ "بِداعِش"، كما حذّر منهُم العلماء والأئمّة؛ كالعلامّة الفوزان، وغيرِهِ مِنَ الفُقهاء، ومِنْ أهل العِلم بأنّ هؤلاءِ يَبْنونَ دينهُم على تكفير المسلمون بالذّنوب، ولذلك يأتون للمسلمين، ويذبحونَهم، ويحرقونهم، ويقتلونهم، ويستحلّون دِماءهُم، لأنّهم يعتقدون كُفرَ أهل الإسلام بالذّنوب، فإذا رآك الخارجيّ وأنت مُرتكِبٌ ذنبًا مِنَ الذنوب؛ استحلّ دمك، واعتقد كُفرك، ولذلك هؤلاء يعتقِدون كُفرَ وُلاةِ الأمر، يعتقِدون أنّ كُل حكّامِ المسلمين هم مِن الكفّار، ويُكفّرونهم بالذّنوب، ولذلك ذهبوا هناك في العراق؛ وأعلنوا الخِلافة الإسلاميّة، لِشيخهم وكبيرِهم الذي بايعوهُ على الخِلافة، لماذا؟ هم يعتقِدون أنّ الحكّام بسببِ ما يَرونهُ أنّهم ارتكبوا قليلًا أو كثيرًا مِن الذنوب؛ يعتقِدون أنّ كُلّ حكّامِ المسلمين كفّار، وأنّ الشُعوب التي ترضا بهؤلاءِ الحكّام كفّار، لأنّهم رضَوا بالكفر، فيستحلّون الدّماء، ويعيثونَ في الأرضِ فَسادا، ثمّ يأتونَ بِمثلِ هذه الآية التي اتفق السّلف كما يقول الإمامُ الطَبَريّ، شيخُ المفسّرين على أنّ قولَهُ: {بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ} [البقرة:81]، أنّ السّلف اتفقوا على أنّ الخطيئة وأنّ السيّئة هي الكُفرُ بالله، وهكذا جاء عنِ الصّحابة –رضي الله عنهم– كأبي هُريرة، وجاء عنِ التّابعين ومَن بعدهُم.

ولكنّ الخوارج أهلُ سّوء، يقتُلون أهل الإسلام، ويدعونَ أهل الأوثان، كما وصفهُم النبيّ- عليه الصلاة والسلام-.

-قال الله-جلّ وعلا-: {بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ } [البقرة:81-83] تقدّم معنا أن إسرائيل هو نبيّ الله يعقوب -عليه الصلاة والسلام- {لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [البقرة:83]الإحْسان إلى الوالِدَيْن، ولَو كانَ والِدَيكَ كافِرَيْن، ولَو كانَ والِداكَ كافِرَيْن وَجَبَ عَلَيْكَ أَن تُحْسِنَ صُحْبَتَهُما قال تَعالى: {وَإِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَصاحِبْهُما في الدُّنْيا مَعْروفًا} [لُقْمان:15]، لَوْ كَفَرَ الوالِدان وصارا كافِرَيْن يَأْمُرانِ وَلَدَهُما بِالكُفْر لَما سَقَطَ حَقُّهُما، وحَرُمَ طاعَتُهُما في مَعْصِيَةِ الله {فَلا تُطِعْهُما وصاحِبْهُما في الدَّنْيا مَعْروفًا}، وبَلَغَ البِرُّ بِهِما أَنْ تَحْفَظَ لَفْظَك، وحُروفَكَ عِنْدَ غَضَبِك {فَلا تَقُل لَهُما أُفٍّ} [الإسراء:23]، هذا عِظَمُ شَأْنِ الوالِدَيْن {فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} [الإسْراء:23-24]، قالَ اللهُ – جَلَّ وعَلا – : {وَإِذْ أَخَذْنا ميثاقَ بَني إِسْرائيلَ لا تَعْبُدونَ إِلاّ اللهَ وبِالوالِدَيْنِ إِحْسانًا وذي القُرْبى} [البَقَرَة:83] أَقارِبُ الإنسان مِن جِهَةِ أَبيه أَو مِن جِهَةِ أُمِّه، وقَدْ ثَبَتَ في صَحيحِ مُسْلِم أَنَّ ابْنَ عُمَر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- كانَ راكِبًا ذاتَ يَومٍ عَلى حِمار، فَلَقِيَ أَعْرابِيًّا، رَجُلًا مِنَ الأَعْراب مِن أَهْلِ البادِيَة، فَنَزَلَ ابْنُ عُمَر عَنْ حِمارِه، وخَلَعَ جُبَّتَهُ أَو عِمامَتَهُ فَكَساها لِهذا الأَعْرابيّ، وأَكْرَمَهُ إِكْرامًا عَظيمًا، فَقالَ أَصْحابُ ابن عُمَر: يا أَبا عَبْد الرَّحمن واللهِ إِنَّ هذا الأَعْرابي كانَ يَرْضى مِنْكَ بِأَقَلَّ مِمّا صَنَعْت، يَعْني لَو أَكْرَمْتَهُ دونَ أَن تُبالِغَ في إِكْرامِه، فَقالَ ابْنُ عُمَر: إِنَّ أَبا هذا كانَ وُدًّا لِعُمَر، وإِنّي سَمِعْتُ رسولَ اللهِ -صلى الله عليهِ وسلم-

يَقول: ((إِنَّ مِنَ البِرّ أَن يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبيه)) يَعْني أَنَّ بِرَّكَ بِأَبيك حَتّى بَعْدَ مَوتِهِ قائِم، أَن تُكْرِمَ، وأَن تَبُرَّ مَن؟ أَنْ تَبُرَّ وأَن تُكْرِمَ أَصْحابَهُ الذينَ كانَ يُحِبُّهُم، فانْتَقَلَ بِرُّ الأَبِ إلى أَصْحابِهِ، وأَصْدِقائِه، فَإذا كانَ مِنَ البِرّ أَنْ تُكْرِمَ صاحِبَ أَبيك، فَما بالُكَ بِبِرِّ أَبيك، قال اللهُ –جَلَّ وعَلا–: {وبِالوالِدَيْنِ إِحْسانًا وذي القُرْبى والْيَتامى} الْيَتيم كَما جاءَ في الحَديث عِنْدَ أَبي داود، أَنَّ النبيَّ –صلى اللهُ عَلَيْهِ وسلمَ– قال: ((لا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلام)) وصَحَّحَهُ الأَلْباني وغَيْرُه، فَمَتى يَنْقَطِع مُسَمّى الْيَتيم؟ إذا بَلَغ، فَإِذا بَلَغَ الْيَتيم واحْتَلَم؛ انْقَطَعَ عَنْهُ اسم الْيَتيم، وقَدْ جاءَ في الحَديث فيما صَحَّحَ الأَلْبانيُّ وغَيْرُه، أَنَّ النبيَّ –صلى الله عليه وسلم– قال: ((إِذا أَرَدْتَّ أَنْ يَلينَ قَلْبُك فَأَطْعِم المِسْكين، وامْسَح بِرَأْسِ الْيَتيم))، قال الله –جل وعلا–: {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ} [سورة البقرة:83]، والمسكين كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–: أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: ((ليس المسكين الذي تَردّه اللُّقمة ولا اللُّقمتان، ولا الأَكَلَة ولا الأَكَلتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غِنًى يُغنيه، ويستحي أن يقوم فَيَسأل الناس، ولا يُفطن الناس له ويستحي أن يقوم فيسأل الناس)) هذا هو المسكين، فينبغي أن يُراعى هؤلاء الذين يسترون أنفسهم، ولا يسألون الناس فَيُتفحّص عنهم حتى تُدفع عنهم الحاجة والعَوْزة.

قال الله_جل وعلا_ :{وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ} [سورة البقرة:83]

السؤال:

قوله تعالى:{وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ} [سورة البقرة:81] ممكن توضيحه؟

الجواب:

ها هنا أمران قال الله –جل وعلا– {بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً} بينت أن السيئة هنا هي الشرك بالله، ما الذي ترتب على السيئة؟ {وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ} قد يأتي بالسيئة ولا

تُحيط به خطيئته، كمن أتى بالشرك ثم تاب منه، قال الله –جل وعلا–: {قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ} [سورة الأنفال:38]

إذًا قد يأتي بسيئة الشرك، ولكن الله يوفّقه للتوبة قبل الموت، إذًا أتى بالسيئة، ولكن لم تحط به خطيئته؛ لأنه تاب قبل أن يموت، لذلك قال –تعالى–: {قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا} إذا انتهوا عن الكفر، وتابوا وأسلموا قبل الموت {يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ} فالله لا يَغفر الشّرك لمن مات عليه {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ} [سورة النساء:48] فالشّرك لا يُغفر لمن مات عليه، ولكن يُغفر لمن تاب منه قبل موته.

إذًا هؤلاء اليهود، وغيرهم كَسَبَ شِركًا كما قال الله –تعالى– في أخبار اليهود: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ} [سورة التوبة:31]، {بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ} [سورة البقرة:81]، فمات على الشرك فأحاطت خطيئته (الشرك به) فصار من أهل النار، وأما إذا أتى بالسيئة، وتاب قبل أن يموت، فلم تُحِط به سيئته أو لم تُحِط به خطيئته.

السؤال:

تَرِد بعض الألفاظ جزاك الله شيخنا في ما مضى من التفسير، ونجد فيها خِلافًا بين السّلف في تفسيرها كقوله –تعالى–: {يفسقون}، وقوله –تعالى–: {رعد}، وقوله –تعالى–: {مهتدين}، و{متقين} وغيرها من الآيات، فما هو الواجب تُجاه هذه الأقوال؟

الجواب:

تفاسير السَّلف تنقسم إلى قسمين، حين يختلفون في التّفسير، ينقسم اختلافهم إلى قسمين:

– اختلاف تَنوُّع.

– اختلاف عِبارة مع الاتفاق على المعنى.

مثال: كما يقول {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [سورة الفاتحة:6]فتجد في كلام السّلف الصراطُ المستقيم الإسلام، وتجد الصراطُ المستقيم هو القرآن، وتجد الصراطُ المستقيم ما كان عليه أصحاب محمد –صلى الله عليه وسلم– و–رضي الله عنهم–، وتجد الصراط المستقيم: هو السُّنة واتباع النبي —صلى الله عليه وسلم–، فهذا الإختلاف هو اختلاف تنوُّع والمعنى واحد، فلمّا تقول الصراط المستقيم هو الإسلام، الصراط المستقيم هو القرآن، الصراط المستقيم ما كان عليه النبي–صلى الله عليه وسلم– وأصحابه، فهذا اختلافٌ في لفظٍ مع اتفاقٍ في المعنى، هذا القسم الأول من الاختلاف عند السّلف من المفسّرين.

القسم الثاني: اختلافٌ، وهو اختلاف تضاد، اختلاف تضاد ليس مُتفِّقًا، وهذا الإختلاف مثاله في قوله –تعالى–: {أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ} [النساء:43] [المائدة:6]، قال بعض المفسرين لامستم: الجِماع، أما إذا مسَّها دون أن يُجامع إمرأته، مجرد أن يمس بشرتها فلا يجب عليه الوضوء، وقال بعض المفسرين: {أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ} مُطلق التقاء البشرة، فقالوا: إذا مسَّ جِلدها سِيَّما بشهوة وَجَب عليه الوضوء، هذا الإختِلاف اختلاف التّضاد، فالإختلاف الأول اختلاف تنوُّع، اختلافٌ في اللَّفظ واتفاقٌ في المعنى، والإختلاف الثاني اختلاف تضاد، اختلاف التَّنوّع ما فيه إشكال، اختلاف التَّضاد يجب أن تَنظر ما دلَّ الدّليل عليه من صِحَّة هذا القول أو ذاك، يُحرَّى الدَّليل مع من؟ فإذا حصل اختلاف التَّضاد، وَجَبَ التَّرجيح بالدَّليل، وأمَّا اختلاف التّنوع فهو ما هو إلّا عبارة عن اختلاف تعبير في اللَّفظ مع اتفاقٍ في المعنى.

السؤال:

هناك اختلافٌ في الألفاظ مما يتشابه على القارئ، كقوله –تعالى–: {وَذِي الْقُرْبَىٰ}، وفي الآية الأخرى {وَبِذِي الْقُرْبَىٰ} والآيات التي قبل {وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ} [البقرة:58]، {وَإِذْ قِيلَ ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ}، {وَقُولُوا حِطَّةٌ} مُقدَّمٌ على {وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا}، {وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ} وفي الآية الأخرى {سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ} فكيف يُكشَف عن مثل هذا من المعاني؟

الجواب:

هو حقيقة مثل هذه السِّياقات المختلفة، إذا اختلف السِّياق انْبَنت عليه فائدة تُناسِبُ سِياق الكلام، ولعلّي هنا أذكرُ مثالاً، وتقدَّم معنا، لكني أُذَكِّر به، في سورة البقرة، لما ذكر ربُّنا، وأمر نَبِيَّهُ موسى أن يَضرب الحجر {فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا} [البقرة:60]، فضرب الحجر فانفجرتْ، في سورة الأعراف قال: {أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانبَجَسَتْ} [الأعراف:160]، تأمل الآن في سورة البقرة قال: {فَانفَجَرَتْ}، في سورة الأعراف قال: {فَانبَجَسَتْ} ، ما الفرقُ بين اللفظين ؟

أَوّلُ ما ضَربْ انبجستْ، وهو ابتداءِ خروجِ الماء شيئًا قليلًا، آخِرهُ كَثُرَ الماء فانفجرتْ، فالإنبِجاس وصفٌ في أوّلِ الأمر، والإنفجار وصفٌ في آخره، كذلك ما ذكر فضيلةِ الشيخ علي –حفِظهُ الله– في الأمثلة التي ذكرها، فجاء في ضِمنِ ما قال في موضعْ {وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ} [الأعراف:161]، وفي موضعٍ آخر قال {وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا} ، فمرةً عَبّر بضمير المتكلِّم {وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا} [البقرة:58]، ومرةً عَبّر بضميرِ الغائِب {وَإِذْ قِيلَ}، قال ابن كثير: سورة البقرة مَدَنيّة، نزلت في المدينة، وسورة الأعراف مَكيّة، قال ابن

كثير: فلمّا أخبر الله نبيّه في مكّة بِخَبر اليهود؛ لم يكُنِ اليهودُ أصلًا مَوجودين في مكّة، فأخبر الله عنهُم، فجاء الخِطابُ عنهُم بضميرِ الغائِب {وَإِذْ قِيلَ}، لما استقرّ اليهودُ في المدينة، واستقرّ النبيّ –صلى الله عليه وسلم– فنزل القرآن {وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ} ففيهِ إشارة إلى معنى مُخاطبةِ اليهود؛ لأنّهُم كانوا في المدينة، كانوا موجودين، فجاء القرآن بصيغةِ الخِطاب لهم؛ لأنّهم موجودون، بينما في مكّة جاء بصيغة الإخبارِ عنهُم بصيغةِ الغائِب، لأنّهم لم يكونوا موجودين، فتناسب اللَّفظان بحسبِ الحال، تناسَب هذا في مكّة، فجاء مُغايرًا في السّياقِ، مُخبرًا عنهم بضميرِ الغائب، وناسَب في المدينة إذْ كانوا موجودين في المدينة؛ أن يأتيَ الخِطابُ مُباشِر ومُخاطبًا لهم، لأنّهم كانوا موجودين حال النُّزول.

وأحيانًا يختلِف سِياقُ الآيات؛ للإشارة والتّنبيه إلى ما يقتضي السّياق، ففي موضِع يقتضي السّياق تقديم كذا على كذا، وفي موضِع يقتضي التأخير، فهذا كُلّهُ بابٌ عظيم مِنْ أبوابِ تَدبُّرِ القرآن؛ في التّقديم، والتأخير، والإختصارِ، والتطويل تارةً تُذْكرُ القصّة مُطولّة، كما ذكر قصّةَ يوسف، تارةً تُذْكر مُختصرة كما ذكر الله قصّة موسى في النازِعات، تارةً تُذْكر القصّة مُطوّلة كما ذكرها قصّة موسى في القصص، تارة تأتي متوسّطة، كلُّ ذلك مِن بلاغة القرآن، إذْ أنّ العرب كانوا يَتَفَنّنونَ في بلاغاتِهِم، وفي عِباراتِهِم، وفي سِياقاتِهِم، فجاء القرآن على ما تَقتضيهِ لغةُ العرب مِنَ البلاغةِ، والفصاحة، وتنويعِ سِياقِ كلامِ المتكلّم، لِيشْمل كلَّ هؤلاء العرب؛ في تحدّي وإعجازِ القرآن لهُم، كُل في فنّه وبابِهِ، هذا شيءٌ مِنَ الإشارة إلى هذا التنبيه.

جزى الله خيرًا الشيخ خالدًا على ما أفاد وأجاد، نسألُ الله–عزّ وجل– لنا ولكم التوفيق والسداد، والحمد لله ربّ العالمين، الله يجزاك خير.

نعم تفضّل، هناك هذا أيضًا مِن اختلافِ سياقِ الكلام، ففي آيةٍ يقول الله–عزّ وجل–: {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ} [النساء:46]، والآية الأخرى: {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ} [المائدة:41]، { يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ} واضح أنّهم يُحرّفون الكلمة عن مواضعهِ التي أنزلها الله، وقوله: {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ} أي: يُحرّفون الكلم بعد أنْ أنزله الله ثابتًا على الصورة التي أنزلها، وبعد أنْ مضى مُدةٌ من الزمن على ذلك فيُحرّفون، ففي قوله: {مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ} إشارة زائدة عن مواضعهِ التي ليس فيها بعد، ففي هذا إشارة؛ إلى أنّه نزل ثابتًا على مواضعهِ حينًا من الدَّهرِ، ثمّ بعد ذلك حرّفوهُ، فصار في هذه الآية مِنْ زيادةِ المعنى لِزيادة المبنى، واضح؟، والله أعلمُ بمرادِ كلامهِ.

جزاكم الله خيرا.